العصر الكلاسيكي لبلاد اليونان

509 BC

أ/ عيسى صموئيل رومان

ملخص البحث:

يحاول الباحث من خلال هذا البحث إلقاء الضوء على الخطوط العريضة والأفكار العامة للعصر الكلاسيكي في بلاد اليونان والتي تشمل:

أولاً : مفهوم كل من الديمقراطية الإثينية والعصر الكلاسيكي.

ثانياً : الأحداث السياسية الهامة خلال هذا العصر:

- الحملة الفارسية الأولى على بلاد اليونان 490 BC.
- الحملة الفارسية الثانية على بلاد اليونان 480 BC.
- حلف ديلوس.
- الحروب البلوبونيزية بين اثينه واسبرطة (431 to 404 BC).
- ظهور مقدونية على الساحة السياسية.

ثالثاً : الحركة الفكرية والفنية خلال العصر الكلاسيكي :

- فنانين Athens ← "فيدباس – بوليكليتوس – ميرون – براكستيليس – سكوباس – لوسيبوس".
- التاريخ ← "هيرودوت – ثوكوديديس".
- الخطابة ← "لوسياس – ديموستين".
- الفلسفة ← "سقراط – أفلاطون".
- السوفسطائيين ← أمثال "بروتاجوراس – جورجياس – بروديكوس".
- النثر ← "الذي فتح الباب أمام الفكر للنقد والتجديد والاجتاد".

رابعاً : مظاهر الازدهار التجاري والاقتصادي خلال العصر الكلاسيكي:

حيث ظهر فن جديد في التعامل المالي وهو ما يمكن أن نسميه بنظام البنوك.

بدأ العصر الكلاسيكي عندما نجحت أثينة التي كانت واحدة من أكبر دويلات الإغريق ، في التخلص من الطاغة هيبياس Hepias BC 510 ، وأخذ نظام الحكم في Athens يتجه نحو الديمقراطية ، وراحت Athens تروج لهذا النظام وتحاول نشره في باقي المدن الإغريقية.

ترتب على ذلك أن الاثينيين اعتبروا الفرس طغاة برابرة لا ينبغي الخضوع لهم ، ومن ثم راحوا يحرضون إغريق آسيه الصغرى على الثورة ضدهم.

بالفعل أتى التحريض بثماره ، فانفجرت ثورة المدن الأيونية ضد الفرس BC 499 ، وقام الثوار بإضرام النار في مدينة ساردیس Sardis عاصمة إقليم ليديه ، ولكن تمكن الفرس من إخماد هذا التمرد. (١)

الديمقراطية الاثينية ← تعتبر من أهم التجارب السياسية في التاريخ القديم ، ويتجلى ذلك في مؤسسات النظام الديمقراطي وطرق أدائها لوظائفها في المجتمع وقدرتها على التأثير فيه. (٢)

العصر الكلاسيكي ← هو قمة الحضارة الإغريقية ويتمثل ذلك في عصر حكم بيركليس لاثينة حيث بذل كل جهده ليجعل Athens " جامعة بلاد اليونان" مناراً للثقافة والفنون الإغريقية.

فلقد قامت فكرة الديمقراطية على أفكار هذا الزعيم بمفهوم حسي جديد ، وهو تحويل مجتمع Athens إلى مجتمع راقي ثقافياً وسياسياً. (٣)

وطبقاً لبعض المؤرخين الألمان ← أن التفكير الراديكالي الراقي هو الذي حقق لاثينة الازدهار والتقدم في عهد بيركليس ، وذلك بفضل معلمه السياسي Ephialtes الذي خطط لهذه السياسة غير أنه لم يعيش لكي ينفذها فنفذها بيركليس العظيم ، مرة بروح التسامح ، ومرة أخرى بالروح الوطنية الغيورة. (٤)

أهم الأحداث السياسية خلال العصر الكلاسيكي

الحروب الفارسية على الإغريق :

قرر الملك دارا أن يعاقب اثينة لأنه لم ينسى أنها السبب في إشعال الفتنة في آسيه الصغرى ، فقرر أن يعاقبها فأرسل حملة عسكرية 494BC ، إلا أن سوء الأحوال الجوية حال دون إتمام الحملة.

ثم أرسل حملة BC 490 ، وفي هذه المرة نجحت القوات الفارسية في النزول إلى سهل ماراثون Marathon ، ولكن الاثنيين تمكنوا من إنزال الهزيمة بالفرس عند هذا السهل. (٥)

الحملة الفارسية الثانية :

في BC 480 تمكن الجيش الفارسي من عبور البسفور والدردنيل. كما تمكن من اجتياز ممر ثرموبيلاي Thermopylae ← ممر استراتيجي ، بعد أن أبادوا قوة اسبرطة بقيادة ليونيداس Leonidas التي كانت ترابط عند هذا الممر.

بعد الانتصار على القوة الاسبرطية والاستيلاء على هذا الممر الهام ، أصبح الطريق ممهداً أمام الفرس ، لاحتلال مدينة Athens ، وبالفعل دخل الفرس اثينة وأضرموا النار فيها ، مما حفز روح الغلبة في المقاومة لدى باقي الإغريق ، فعقدا القيادة لاسبرطة وتمكنوا من إحراز النصر على الأسطول الفارسي عند جزيرة سلاميس 480 BC Salamis (٦)

حلف ديلوس :

بعد انسحاب الفرس من بلاد الإغريق ، سيطر الخوف من عودتهم مرة أخرى.

فـ Sparta ← عادت إلى ممارسة سياسة العزلة والانكماش في شبه جزيرة البلوبونيز.

Athens ← كانت أكثر إحساساً بالخوف ، لذا راحت تدعو إلى قيام حلف دفاعي من أجل التصدي للفرس ، وسارعت المدن الأيونية وجزر بحر إيجة إلى تلبية الدعوة ، وتقرر إقامة حلف عسكري بزعامة اثينة ، ووقع الاختيار على جزيرة ديلوس Delos ، لكي تكون مقراً لخزانة الحلف ، لذا عُرف هذا الحلف باسم حلف ديلوس. (٧)

الحروب البلوبونيزية

في BC 431 تفجرت الحرب ، التي عُرفت بحرب البلوبونيز ، التي اكتوت بنارها بلاد اليونان حتى BC 404 ، وهي الأحداث التي رواها المؤرخ الاثيني ثوكوديديز Thucydides وكانت الشرارة التي أشعلت الحرب هي تدخل اثينة في خلاف نشب مع كورنث ، وإحدى مستعمراتها ، وهي واحدة من أعضاء حلف البلوبونيز. (٨)

لم يكن أمام Sparta وحلفاءها سوي قبول هذا التحدي ، فقامت قوات الحلف بغزو أراضي اثينة 430 BC ، حيث كانت اسبرطة تتمتع بالتفوق في القوات البرية ، بينما كانت لاثينة الغلبة في البحر. (٩)

كان على اثينة أن تدفع ثمن الغطرسة التي مارستها ضد المدن الصغرى ، لذا فقد لحقت بقواتها هزيمة منكرة في جزيرة صقلية 414 BC ، وترتب على هذه الهزيمة أحداث مهمة داخل اثينة ، كما بدأ حلفاؤها يتململون ، بعد أن ضاقوا ذرعاً لهيمنة أثينة ، وعلى الرغم من ذلك أصرت اثينة على مواصلة الحرب ، إلى أن تعرضت لضربة قاصمة في 404 BC ، حيث تمكن الاسبراطيون من إلحاق هزيمة قآسيه بالأسطول الاثيني وحصار اثينة وإجبارها على توقيع صلح مهين فقدت على أثره مكانتها في بلاد اليونان ، مما أدى إلى سقوط الحكم الديمقراطي فيها. (١٠)

ظهور مقدونية على الساحة السياسية

في 399 BC توفي ملك مقدونية أرخيلاوس ، مما ترتب عليه ضعف المملكة ، مما شجع طيبة 367 BC مهاجمة مقدونية ، وأخذ الأمير Philip ، وتربيته وتعليمه في أفضل المدارس في بلاد اليونان وهي مدرسة طيبة العسكرية ، وبعد أن شب فيليب رجع إلى مقدونية ، ونجح في ارتقاء العرش 359 BC

عندما تربع فيليب على عرش مقدونية كان قد بلغ ٢٣ عاماً ، فعمل على تقوية مقدونية في شتى المجالات ، كما تحمس لنشر الثقافة الإغريقية في سائر أرجاء المملكة ، كما بسط نفوذه على أغلب الأقاليم المجاوره لمقدونية. (١١)

دعا Philip الإغريق إلى الاتحاد لمواجهة خطر الفرس ، ولكن الإغريق أصموا آذانهم عن الدعوة ، ورأي البعض منهم أن Philip يمثل خطراً على حرية الإغريق لا يقل خطورة عن الفرس ، وأخذ الخطيب ديموستين Demosthenes في إلقاء خطب نارية لتحريض الإغريق ضده ، ووصل الأمر إلى اقتراح طلب المعونة من الفرس لمواجهة خطر مقدونية ، وعند هذا الحد وجد فيليب أنه لا مفر من فرض الوحدة بالقوة على الإغريق ، فحاربهم بعد أن أجتمعوا ضده ، وأنزل بهم الهزيمة في معركة خايرونية Chaeronea 338 BC ، وأجبرهم على تكوين حلف عسكري بزعامة مقدونية ، من أجل محاربة الفرس ، والانتقام منهم لأنهم دنسوا مقدسات اليونان. (١٢)

في 338 BC أعلن فيليب عن عزمه قيادة الإغريق لحرب الفرس ، فعبرت طلائع القوات المقدونية مضيق الهلسبونت ، وكان مقرراً أن يبدأ الزحف الكامل 336 BC ، إلا أن اغتيال Philip في هذا العام وقف هذا المشروع. (١٣)

الحركة الفكرية والفنية خلال العصر الكلاسيكي

ظهر في اثينة في ذلك العصر عدداً من الفلاسفة والأدباء والفنانين لم يؤثروا فقط في الحضارة اليونانية وإنما كان لهم تأثير كبير في تاريخ الإنسانية أجمع ، فقد انفردت اثينة بفنانيها التشكليين أمثال.

" فيدياس" ← حقق إبداع فني عظيم بأعماله الرابضة فوق تل الاكروبوليس "معبد البارثينون".

" بوليكليتوس" ← تمثاله الشهير " حامل الرمح".

" ميرون" ← تمثاله الرائع " رامى القرص".(١٤)

" براكستيليس" Praxiteles ← أول من بدأ التجديد في عالم النحت ، كما يتميز أسلوبه بالانسياب الرقيق ، والاسترخاء في الوقفة ، وإضفاء مسحة حالمة على الوجه. تمثاله الشهير أفروديت كنيدوس Aphrodite of Cnidus

"سكوباس" Scopis ← كان مرتبطاً بالعمارة ، يتميز أسلوبه بحب تسجيل الانفعالات النفسية والعاطفية على الوجه ، خاصة الدهشة والخوف.

"لوسيبوس" Lysippos ← من Sicyon ← كان يجسم الناس ليس كما هم ، بل كما كانوا يبدون في عينيه ، ولهذا قلل من حجم الرأس وجعل الجسم أطول قامة وأقل بدانة، وقد عُرف لوسيبوس بأنه النحات الذي تخصص في نحت تماثيل الإسكندر الأكبر النصفية ، فهو الذي سجل عادة الإسكندر في إمالة عنقه على جانب كتفه. (١٥)

التاريخ

من أشهر المؤرخين الذين عاصروا الإمبراطورية الاثينية "هيرودوتوس" مؤرخ الحروب الفارسية و"ثوكيديدس" ← مؤرخ الحروب البلوبونيزية. (١٦)

الخطابة

ظهر فن جديد هو فن كتابة الخطب الدفاعية ، لتلقي أمام المحاكم ، ومن أشهر المتخصصين ← لوسياس (459 – 380 BC) كان أصلاً من سيراكوز في صقلية ولكن بيركليس أغراه بالهجرة والإقامة في اثينة.

ألف لوسياس ما يقرب من 200 خطبة قانونية ليلقيها المحامون في المحاكم لأنه أجنبي، لم يكن يحق له الظهور أمام المحاكم الاثينية ، لكنه خاطب الجماهير في المهرجان الأولمبي 388 BC ، محذراً من عاقبة الصراعات الداخلية وأثرها على السلام. (١٧)

ديموستنيس ← لعب دوراً كبيراً في الحياة السياسية ولكن ديموستنيس كان له مكانة أدبية في حقل البلاغة ، نسبت إليه 65 خطبة تعرف العلماء على ستين منها ، ومن خطب ديموستين ← مجموعة الخطب الاولنثية – الفيليبيات – خطبته عن السلام – خطبته ضد ايسخنيس – يرى بعض النقاد أن روعة ديموستين تتجلى في الجمع بين الإخلاص في النية والقصد وعبقرية الموهبة والدقة في الصياغة وحرارة الإلقاء ، كما تميز أسلوبه بالبساطة والبعد عن التكلف. (١٨)

الفلسفة

يعتبر سقراط الاثيني (469 – 399 BC) نقطة تحول في حركة البحث العلمي التجريبي لأنه بنى أبحاثه على أساس التأمل الواقعي الأخلاقي للناس ، فيقول أفلاطون على لسانه

(إنني أعشق المعرفة ، فالناس الذين يفطنون المدنية هم معلمي ، وليس الأشجار أو الريف). (١٩)

كانت مدينة ميليتوس Miletus وهي مركز - تجاري هام – مسقط رأس الفلسفة الأيونية ، حيث برزت فيها أسماء لامعة مثل طاليس Thales وانكسيماندر كان هدفهم الكشف عن مبادئ لها ارتباط بالضرورة وسط مظاهر متغيرة.

فلا شئ ، ينبعث من لا شئ ، ولا شئ يحدث بغير شئ ، ولكن كل شئ يحدث عن سبب وضرورة ، ومن ثم راحوا يفتشون في كل مكان في الطبيعة ، وفي شجاعة تكاد تصل إلى حد التهور من أجل العثور على قانون يحكم الكون ، وقد نجحوا في الكشف عن النظرية الحقيقية للكسوف والخسوف ، وكروية الأرض ، ودورانها حول مركز نظامها وهو الشمس كغيرها من الكواكب ، وذلك تم عن طريق ملاحظة الظواهر ، ورصد الدليل ، ثم استخراج القانون ، كما بحثوا عن مادة تكون أصل الكون ، وأعتقد Thales أنها الماء ، وقال غيره أنها الهواء أو النار ، أو البخار ، وفي الوقت الذي يلاحظ فيه فلاسفة أيونيا الظواهر الطبيعية ، كان فيثاغورث في جنوب ايطاليا يضع أسس علم الرياضيات والهندسة البحتة ، وتطبيق الرياضيات على فروع العلم المختلفة ، خاصة فن الموسيقى والفلسفة بوجه عام حيث قال أن " الرقم" هو أصل كل شئ. (٢٠)

ازدهرت الخطابة في ظل قيام النظام الديمقراطي ، لأن قوانين المدينة الديمقراطية كانت تتطلب من المواطن العادي القدرة على الحديث علانية ولم يكن ذلك كافياً في حد ذاته ، بل كان يجب على المواطن أن يتعلم كيف يجادل ، وأن يدرب نفسه تدريباً كافياً على مناقشة القضايا السياسية والأخلاقية داخل المؤسسات الديمقراطية. (٢١)

السوفسطائين Sophists

أصبح الشعار الشهير الذي رفعه السوفسطائي "بروتاجوراس".

" الإنسان مقياس كل شئ" ← هو الشعار الذي لاقى هوى في نفس الاثينيين في تلك الفترة ، ومن فلاسفة السوفسطائين جورجياس وبروديكوس اللذان عارضا كلاً من القانون الوضعي والطبيعة بناموسها ونادياً بأن العدل هو ما كان لمصلحة القوى بصرف النظر عن أحقيته.

كما نجد السوفسطائين كانوا يقومون بتعليم "حرفة السياسة" لأبناء طبقة المثقفين الأثرياء الراغبين في اكتساب هذه الخبرة ، إذ كانت معرفة حقائق الحياة السياسية من متطلبات الحياة في المجتمع الديمقراطي الاثيني. (٢٢)

النثر

في القرن الرابع ق. م تحرر الإنسان الإغريقي من الغموض الديني ، ومن كل الأفكار والقيود القديمة ، ومن تسلط الشعر بأوزانه على فن الأدب حيث وجدت روح الفرد الجديد منطقاً لها خلال النثر البسيط السهل ، النثر الذي فتح الباب أمام الفكر للنقد والتجديد والاجتهاد ، وتحققت فعلاً عبارة Perclis القديمة التي قال فيه

" إني أقول لكم ، أن اثينة هي مدرسة هيلاس ، وأن الفرد الاثيني بذاته ، يبدو قادراً على أن يكيف نفسه مع أكثر أنواع العمل تعقيداً ، بأقصى قدر من المرونة والكياسة". (٢٣)

مظاهر الازدهار التجاري والاقتصادي خلال العصر الكلاسيكي

اتساع ميناء بيريه ← لقد امتد إلى منازل Athens نفسها.

ظهر فن جديد في التعامل المالي ، وهو ما يمكن أن نسميه بنظام البنوك.

إن فكرة البنوك هي وليدة فكرة عتيقة مارستها شعوب الشرق الأدنى ألا وهي ← حفظ الأموال في المعابد ، في حراسة الكهنة ، ثم راح الكهنة بما لديهم من ثروات متجمعة من القرابين والهبات يُقرضون الدولة نظير نسبة معينة من الفائدة ، ولقد لعب معبد آبوللون في Delphi دوراً كبيراً في هذا المجال.

شجع الازدهار التجاري الأغنياء في القرن 4BC على افتتاح دور للإقراض المالي نظير فوائد.

في Athens أقام باسيون Pasion أول دار للإقراض المالي ، كان رأس ماله ٥٠٠ تالنت. كما قدم تسهيلات جديدة للتعامل بالصكوك المالية بدلاً من النقود مما أعطى دفعة قوية للتجارة.

بالرغم من ازدهار الحالة النقدية بسبب استخدام الذهب المخزون في المعابد في سك عملات ذهبية ، بالإضافة إلى نجاح البنوك في إغراء أصحاب الأموال المدخرة في إخراجها من مخابئها وتشغيلها في أسواق المعاملات ، إلا أن نسبة الفائدة على القروض كانت عالية ، إذ وصلت إلى ١٢ % مما يدل على شدة الطلب على الأموال ، بسبب الازدهار الصناعي والتجاري ، ولكن تضخم رأس المال ، واستقلال الفرد أديا إلى الصراع الاجتماعي ، عندما لفت الفلاسفة الأنظار إلى التناقض بين المساواة الإسمية في الحقوق السياسية ، وبين الفارق الفعلي في الثروة بين الأغنياء والفقراء ، ووضحوا عدم جدوى المساواة في الحقوق السياسية مادام العدل الاجتماعي غير قائم ، ولهذا طالبوا بوجوب ربط المساواة السياسية بالعدل الاجتماعي كي لا يستغل الأغنياء ثرواتهم في التسلط السياسي. (٢٤)

حواشى البحث :

باحث ماجستير بقسم الآثار – شعب الآثار اليونانية الرومانية والبحث يمثل جزء من رسالة الماجستير الخاصة بالباحث والتي تحمل العنوان الآتي:"المؤامرات السياسية في بلاد اليونان خلال العصرين الكلاسيكي والهللينستي" تحت إشراف أ.د/ خالد غريب شاهين د/ ولاء مصطفى محمد

(1) Bengtson. H, The Ionian Rebellion and the Persian wars to the Battle of Marathon (The Greeks and the Persians) pp. 40 – 41.

(٢) لطفي عبد الوهاب يحيي ، "الديمقراطية الاثينية" ، دراسة في النظام السياسي الشعبي ، مركز التعاون الجامعي ، الإسكندرية (١٩٦٩) ، ص١١٦.

(3)Revue Historique Vol. 50, 1973, pp 175 – 181 (By Cdwardwill).

(4) R. H. (Revue Historique). IOC. Cit, (p176).

(5) Bengtson. H; Op. cit. p. 45.

(6) Bengtson. H ; Op. cit, p. 59.

(7) Bury. J. B ; The history of Greece.

(8) Bengtson. H ; The peloponuesian war (431 – 404 BC) (The Greeks and the Persians), p. 158.

(9) Bengtson. H ; Op. cit. p. 167.

(10) Bengtson. H ; Op. cit. p. 194.

(11) Bengtson. H ; The rise of Macedonia under king Philip II. P. 286.

(12) Bengtson. H ; op. cit. pp. 299 – 300.

(13) Bengtson. H ; op. cit. p. 302.

(14) Rostovtzeff (M). "Greece", New York (1975). Pp. 166-167.

(١٥) ج. وطومسون آخرون ، حضارة عصر النهضة ، ترجمة عبد الرحمن زكي ، دار النهضة العربية ١٩٦١ ، ص١٥٧ وما بعدها.

(١٦) لطفي عبد الوهاب ، "اليونان : مقدمة في التاريخ الحضاري" ، بيروت (١٩٧٩) ، ص ٢٠١ – ٢٠٢.

(١٧) محمد سليم سالم ، البدائع – لوسياس بقلم عبد اللطيف أحمد علي ، ص ٩٧ – ١٠١ ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٤٥ ، ص١٩.

(١٨) البدائع (المراجع السابقة) ص ١٠٢ – ١٥٩ "ديموستنيس" بقلم محمد صقر خفاجة.

(19) Plato, Phaedros, 23.

(20) Burn T Early, Greek philosophy. P. 340 f.

(21) Ehrenberg, (V), "society and civilization in Greece and Rome, Martin classical lectures" , vol. XVIII , Cambridge (1965), p. 64.

(22) Ibid., pp. 63 – 68.

(23) Thycydides, H, 37- 41.

(24) P, Mac Kendrik, "The Athenian Aristocracy, 399 – 31BC, Cambridge, Mass, 1968, p. 290ff.